قضية الحجاب فی شعر الزهاوی

☆حافظ محمد طارق

☆☆ڈاکٹر حافظ افتخار احمد

Abstract

This article deals with the issue of veil in the poetry of Al-Zahavi. In 19th century, woman had not any status in Iraq society. She deprived from inheritance and many other rights. Even she was not to go out of home for education and work. In this condition, Al-Zahavi worked and started struggle for the freedom and rights of woman in society. According to him, the most important issue was veil. He thought that the veil is main hurdle in the progress of woman.

Therefore, he offered the female to do work without veil in society. In his views, education and good training is better than veil and he says that social development is not possible without the educated woman.

Therefore, he wants that the woman should also be participated in different fields of society for the development. So, that she can perform her best roll in the progress of society. Al-Zahavi takes veil just a part of custom and tradition, not a part of Islam. He says, by comparing eastern and western woman, western woman gains her rights easily without any problem but he eastern woman restricts. In real, he wants to see woman in high status. So, that culture can be maintained and society gets the way of progress

كانت المرأة فی القرن التاسع عشر حبيسةً محجوزة فی بيتها تعيش حياة هامشيّة، وهی كانت محرومة من أبسط حقوقها وينظر اليها نظرة هوان، ويحرم المرأة من ميراثها ولامكانة لها فی المجتمع. قد لقيت المرأة شتّی أشكال التعذيب،وهی صابرة، وليس لها رأی بين آراء الرجال، وليس لهاشئی الّاطاعة زوجها، ولايجوزلها الخروج من بيتها . ولا يحقّ لها أن تظهر أمام الرجال، وتشاركهم فی العمل، بل حرمت من التعليم والعمل . كانت المرأة حينئذٍ تعيش تحت وطأة العادات البالية فی المجتمع العراقی.

وعند مطلع القرن العشرين استمرّ حال المرأة على ماكان عليه من القرن التاسع عشر ولم يلتفت اليها

☆ الباحث بمرحلة الدكتور،القسم العربی، جامعة الكلية الحكومية، بفيصل آباد

☆☆الاستاذ المساعد ، القسم العربی، جامعة الكلية الحكومية، بفيصل آباد

أحد، حيث قد ظهر بعض الشعراء والأدباء في هذا المجال الذين أسهموا الى حد كبير في معالجة تلك المشاكل التي لحقت بالمرأة، وقد أرادوا أن يرفعوا الحيف الذى لحق بها. وليس على الشعراء الاّ أن يدافعوا عنها. وواحد منهم جميل صدقي الزهاوى لعصر الحاضر. قد ولد في العراق في سنة ١٨٦٣ وتوفّى فيها سنة ١٩٣٦. لم يكن الزّهاوى شاعر العراق فحسب ولاشاعر مصر بل هو شاعر الشرق وغيرها من الأ قطار العربية. ونشأ في بيتِ علم ووجاهة الذى تميّزبالدّين والفقه والأدب. فقد كان أبوه محمد فيضي الزهاوى مفتيّالدارالسلام. وأمّا الزهاوى فهو الداعي إلى تحرير المرأة، وقد اهتم بالقضايا الاجتماعية اهتمامًا أكثر من الجوانب الأخرى. فأولى اهتماما خاصّابالمرأة والد فاع عنها والمطالبة بحقوقها في العمل والحياة ، وقد عالج مشاكل المرأة في المجتمع العراقي الى وجوب تعليم المرأة، ودفع الحجاب وتنظيم الزواج والطلاق، منح المرأة حقوقها الاجتماعية وحريتها الطبيعية. وأمّا قضية الحجاب فهي المشكلة الأولى التي عالجها الزّهاوى وهذا هو موضوعنا هنا، الآن نبدأ الحديث بكلمة الحجاب لغةً واصطلاحاًوالمتعلقات التي تتعلّق بها.

وأمّا الحجاب فمعناه لغةً الّذى بيّنه ابن منظور الأ فريقي في كتابه "لسان العرب" فقال:

"حجب: الحجاب: الستر. حجب الشئي يحجبه حجباً وحجاباً. وحجبه: ستره. وقد احتجب وتحجّب إذا اكتن من وراء حجاب"(١)ومعناه الاصطلاحي"فالحجاب كل ماستر المطلوب، أومنع من الوصول اليه. ومنه قيل للستر حجاب، لمنعه المشاهدة، وقيل للبواب حاجب، لمنعه من الدخول. وأصله جسم حائل بين جسدين"(٢) وفي الكليات: "كل مايستر المطلوب ويمنع من الوصول اليه فهو حجاب"(٣) الأن تذكر هي الألفاظ التي تتعلّق بكلمة الحجاب. أوّلا نذكر الخمار للمرأة، فهو النصيف ، وقيل: الخمار ماتغطى به المرأة رأسها "ومنه خمار المرأة والخمر لانها تغطى العقل" .(٤) وأمّا النقاب فعندالعرب، هوالذى يبدومنه محجرالعين، "ومعناه أن إبداء هن المحاجر محدث،إنما كان النقاب لاحقا بالعين، وكانت تبدو إحدى العينين، والأخرى مستورة ،والنقاب لايبدو منه إلا العينان ، وكان اسمه عندهم الوصوصة، والبرقع، وكان من لباس النساء، ثم أحد ثن النقاب بعد"(٥) وأمّا الجلباب فهو ماتغطى به المرأة الثياب من فوق كالملحفة وقيل: هو الخمار وقيل: جلباب المرأة:

ملأتها التی تشتمل بها،واحدها جلباب . والجلباب أيضاً: الرداء وقيل: هو كالمقنعة تغطی به المرأة رأسها وظهرها وصدرها وقيل الجلباب:ثوب أقصر من الخمار وأعرض منه، وهو المقنعة .(٦) وقال القرطبی فی تفسيرة: "الجلابيب جمع جلباب وهو ثوب أكبر من الخمار وروی عن ابن عباسؓ وابن مسعودؓ أنه الرداء، وقد قيل إنه القناع، والصحيح أنّه الثوب الذی يسترجميع البدن".(٧)

وأمّا كلمة الحجاب فقد ورد فی القرآن سبع مرات ونذكرهنا بعض الآيات منها وهی: "وَ إِذَا قَرَأْتَ الْقُرْاٰنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِيْنَ لَا يُؤْمِنُوْنَ بِالْاٰخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُوْرًا"(٨) والمعنی: حجاب ينزل علی الكفار فيمنعهم من فهم مايتلی عليهم من آيات ."وَمَاكَانَ لِبَشَرٍ اَنْ يُّكَلِّمَهُ اللّٰهُ اِلَّا وَحْيًا اَوْ مِنْ وَّرَآئِ حِجَابٍ"(٩) ومعنی الحجاب هنا: سماع الكلام دون مشاهدة شئی ."وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْاَعْرَافِ رِجَالٌ يَّعْرِفُوْنَ كُلًّا بِسِيْمٰهُمْ"(١٠) أی أن أصحاب الجنة وأصحاب النار سيفرق بينهما سور أو حاجز يوم القيامة.

الآن نحاول أن نعلم ماذا أحكام الحجاب فی الإسلام حسب القرآن الكريم والسنّة . إنّ حجاب المرأة المسلمة فرض علی كل من بلغت سنّ التكليف، وهو السن الذی ترى فيه الأنثی الحيض . وقد وردت آيات وجوب الحجاب فی القرآن الكريم بوضوح. قال اللّٰه تبارك وتعالی: ((وَقُلْ لِّلْمُؤْمِنٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ اَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوْجَهُنَّ وَلَا يُبْدِيْنَ زِيْنَتَهُنَّ اِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلٰى جُيُوْبِهِنَّ))(١١)فالمراد بالخمار غطاء الرأس، ومعناه أنّها تغطی بخمارها وجهها ونحرها، لِأنّ نساء الجاهلية كن يكشفن نحورهن وصدورهن ويسدلن الخمار من ورائهن، ولذالك قال اللّٰه تعالی: " وَقَرْنَ فِیْ بُيُوْتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْاُوْلٰى"(١٢) وأمّا الحديث فإنّ أسماء بنت أبی بكر دخلت علی رسول صلی اللّٰه عليه وسلم وعليها ثياب رقاق فأعرض عنها رسول اللّٰه صَلّی اللّٰه عليه وسلم وقال يا أسماإن المرأة إذا بلغت المحيض لم يصلح أن يرى منهاإلّا هذا وهذا وأشار إلی وجهه وكفيه".(١٣)

ومن الأمور التی وقع الاختلاف حولها فی قضية الحجاب أيضًا بعض الألفاظ والمعانی وهی: وكلمة

الجيب الذي وردفي الآية: "وليضربن بخمرهن على جيوبهنّ" فالجيب هو موضع الصدر، وموضع الفتحة من القميص عند الصدر، وبذلك يكون المقصود هو تغطية الصدر. وكلمة الخمار في الآية فمراده في اللغة هو كل ماستر وليس مقتصرا على غطاء الرأس. وأمّا الزينة فقد اختلف العلماء والمفسرون في بيان المراد بها فيحدد الدكتور شحرور زينة المرأة اعتماداً على مفهومها اللغوي ويقسمها إلى قسمين: الزينة الظاهرة والزينة المخفية، وأمّا الزينة الظاهرة " فما ظهرمن جسد المرأة بالخلق أي ماأظهره اللّٰه سبحانه وتعالى في خلقها كالرأس والبطن والظهر والرجلين واليدين" (١٤) وأمّا الزينة المخفية فهو الجيوب ويجب على المرأة المؤمنة أن تغطيها يعني لايبدى زينتها المخفية لغيرالمحارم. وقال المفتي صالح بن فوزان(١٥)" فالمراد بذلك الزينة التي تلبسها المرأة لازينة الجسم وإنّما المراد بالزينة الظاهرة هي الزينة التي تلبسها المرأة إذا ظهر منها شئي بغير قصد. فانّها لاتؤاخذ على ذلك، ولكن إذا تعمدت إخراجه وإظهاره فإنها تأثم لما في ذلك من الفتنة للرجال".(١٦) والحقيقة أن الحجاب في الإسلام هو رمز للحشمة والعفة للمرأة، فالقرآن يأمر المؤمنين والمؤمنات بغض البصر والعفة وأمر المؤمنات أن يدنين بحجابهن على جيوبهن. ووضّح القرآن أنّ الحجاب يحمي المرأة ويحافظ على عفتها، قال اللّٰه تعالى في كلامه المجيد: ((يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا))(١٧) فالغرض من الحجاب في الإسلام هو حماية المرأة، بل هو دليلاً على العفة والكرامة لحماية كل النّساء المسلمات. فالقرآن حريصٌ جدّاً على حماية المرأة. فهذا عام لجميع النساء من أمهات المؤمنين وبنات الرسول ﷺ وغيرهن من نساء المؤمنين، فالحجاب في الجملة واجب بإجماع المسلمين.

قد اتّفق العلماء أن كل بدن المرأة ماعدا الوجه والكفين يجب ستره بالحجاب .وأما الوجه والكفان فقد اختلف فيهما العلماء فمنهم من جعله خارج الستر، ومنهم من أوجب سترهما . الآن هنا نذكر أراء العلماء فيها شيئاً، قال أحمد بن غنيم في الفواكه الدواني: "اعلم أنّ المرأة إذا كان يخشى من رؤيتها الفتنة،وجب عليها ستر جميع

جسدها حتى وجهها كفيها، وأما إن لم يخش من رؤيتها ذلك، فإنّما يجب عليها ستر ماعداوجهها وكفيها"(١٨) قال ابن العربى-رحمه اللّٰه-: "والمرأة كلها عورة بدنها وصوتها فلا يجوز كشف ذلك إلّا لضرورة أولحاجة كالشهادة عليها أو داء يكون ببدنها أوسؤالها عما يعن ويعرض عندها"-(١٩)

وكذلك القرطبىؒ ذهب إليه أيضًا فى تفسير آية الحجاب. وكذلك موقف الإمام محمدعبده أن الإسلام قد شرع ضرب الخمر على الحيوب كما هو واضح وصريح فى الآية ٣٠-٣١من سورة النور، أمّا تغطية الوجه فليست من الإسلام فى شئى. لعلّ الإمام محمد عبده استشهد من هذا الحديث"ياأسماء،إنّ المرأة إذا بلغت المحيض لم يصلح أن يرى منها إلاهذا وهذا. وأشار إلى وجهه وكيفه"(٢٠) وبعضهم يدخل الوجه فى الستر، وهم يقولون أن يستلزم أن تغطى المرأة وجهها ونحرها ولا يظهر شئى من جسمها، لأنّ الوجه أعظم زينة فى جسم المرأة ، وهو محل الانظار، وهو محل الفتنة، وهو مركز الحسن والجمال، ويجعلون أن الوجه يجب ستره .أمّا الوجه والكفان فقد اختلف فيهما العلماء فمنهم من جعله مندوبًا، ومنهم من أوجب سترهما. واللّٰه يعلم بالصواب.

وأمّا الحجاب فى شعرالزهاوى فقد دافع عن حقوق المرأة وطالبها بترك الحجاب (ويقصد به النقاب الذى يخفى معالم الوجه) وأسرف فى ذلك. وهو يدعوإلى حضور المرأة فى المجتمع سافرة، والشاعر يدعو أيضاًإلى ترقية مكانة المرأة وتثقيفها موضّحًا دورالمرأة الاجتماعى، حيث قال:

أسفرى فالحجاب يابنة فهر هو داء فى الاجتماع وخيم
كل شئى إلى التجدد ماض فلماذا يقرهذا القديم؟
اسفرى فالسفور للنّاس صبح زاهروالحجاب ليل بهيم
اسفرى فالسفور فيه صلاح لفريقين ثم نفع عميم
زعموان فى السفور انثلاما كذبوا فالسفور طهر سليم
انزعية ومزقيه فقد أنكر ه العصر ناهضًا والحلوم
وارحمى من يلومك فيه إنّ شيطان اللائمين رجيم

لـم يقـل بـالـحـجاب في شكله هذا فـــي ولا ارتـــضـــاه حـــكـيـم

هـــو فـــي الشـرع والـطبيعة والاذوا ق والـعـقـل والـضـمـيـر ذميـم

السـفـورالسـفـور فـالهـلك للشعب أخيـــراً بـدونـــه محتوم (٢١)

إن الزّهاوى يجعل عمل التربية والتعليم أعلى من الحجاب فى بيته التالى . وهو يرى أنّ الحجاب لايحافظ عـفة الفتاة بل التربية والتعليم يحمى عفة الفتاة ويقيها . كـما قال اللّٰه تبارك وتعالى فى كلامه المجيد "ولباس التقوى ذلك خير"(٢٢) حيث قال: لايقى عفة الفتاة حجاب بل يقيها تثقيفها والعلوم.(٢٣)

قـد نظم الزهاوى قصيدة أخرى "الحجاب والسفور" الذى نقد فيها الحجاب وحثّ النّساء على السفور، ويـدعـو البـنـات إلـى تـمزيق الحجاب والظهور فى محافل الحياة سافرات، لأن الحجاب كان حارساكذابا لصون شـرف الـمـرأة وحيـائهـا، ويـريد منها كشف حجابها عن وجهها ودخولها إلى ميادين الحياة الاجتماعية الجديدة سـافـرة كـفتـاة مهذبة مثالية التى تودّى دورها فى الحياة الاجتما عية والاقتصادية والسياسية فى المجتمع الجديد .

نحترتُ من بينها النموذج التالى:

مزقى يا ابنة العراق الحجابا وأسـفـرى فـالـحيـاة تبـغـى انـقـلابـا

مـــزقيـــه واحـــرقيـــه بـلاريـث فـــقـــد كـــان حـــارســـا كـذابـا

أسـرف الشيـب فـى الـحـجـاب فجاء ت تبتـغـــى مـنـهـم الشبـــاب حســـابـا

ان هـــذا الـــحـــجـــاب ان كـــان يـرضـى الشيـب فـاليـوم ليـس يـرضى الشبـابـا

قـد أســـاء الشيـوخ فـــى الـمـرأة الـظـن فسنّوا لهـا الـحـجـاب عقـابـا

انهـــم شـــددوا الـــنـــكـيـــرعـــليهـــا انهـم ضيـقـوا عـليهـا الـرحـابـا(٢٤)

ثم نادى برمى الحجاب بل تبمزيقه ويقول فى قصيدة "تباشير الانقلاب":

مـن بـعـد مـاانتـظرتُ حقابا ثـــارت مـــمـــزّقـت الـحـجـابـا

عـــربية عـــرفَـــت أخيـــراً كيف تـــنبـــذ مـــا أرابـــا

كـان الـحـجـابُ يسـومها خسفًـا ويـرهـقـهـا عذابـا(٢٥)

قـديـرى الـزهاوى أنّ الحجاب من العادات والتقاليد البالية القديمة، وإنّه ليس من المشروعات الإسلامية ولـم يـكن جزءً امن الدين۔ وأيّد مهدى عباس العبيدى هذا القول فى كتابه"حقيقة الزّهاوى" وقال: "انتقد الحجاب ونـادى بـالسـفور فقال إنّ منشاء الحجاب العادات ولم يكن الدين وكذا أنّ الشيوخ لما أساؤا الظن فى المرأة سنّوا لها الحجاب عقابًا". (٢٦) وقول الزهاوى من قصيدة "هزأوابهن":

إنّ هـذا الـحـجـاب فـى كلّ أرضٍ ضـــررٌ لـــلـــفتيـــان والـــفتيـــات

لـم يـكـن وضـعُـه مـن الدين شيئًـا إنّـــمـــا قـــدأتـــى مـــن الـعـــادات

وقال أيضًا عن الحجاب:

ربّ عـذراء لسـت تسـمـع مـنهـا عـنـد تـحـديثهـا سوى الـزفـرات

ولهـــا فـــى حـــجـــابهـــا نـظـرات يـالهـا فـى الـحـجاب من نظرات

ثم قال:

إنّ هذا الحجاب قبر كثيف حال بين الفتاة والنسمات (٢٧)

ثم نسمع نداء فى قصيدة أخرى:

قد عزوتم إلى السفور غروراً طائشًا قد يفضى إلى الهفوات

هل يحول الحجابُ بين التى لم تتثقف والطيشُ فى الرغبات

بل أرى فى الحجابُ تسهيل ماتخشونه من نكرٍ على الفتيات

مـنـذ صـغـرت الـمـرأة الشـرقية فـى نفسها أرادت مستندًا لها من الذكور أبًا أوأخًا أوزوجًا كالنعجة التى لاتستطيع أن ترعى الكلأ إلا إذا رعاها راع فهى تخاف إذا ابتعدت عنه أن يخطفها الذئب . ولهذا قال الزّهاوى فى قصيدة "الحجاب والسفور":

وكأن الإناث كن نعاجا وكأن الذكور كا نواذئابا (٢٨)

كذلك إنّ الزهاوى يعبّر أن المرأة تحاط مشاكل عديدة من المجتمع، وقد حبس المرأة وسجنها فى البيت، وعدم السماح لها بالخروج حتى لتأدية أوجب الواجبات فيقول :

هزأوا بالبنات والأمهات وأهانوا الأزواجَ والأخواتِ

سجنوهنّ فى البيوت فشلّوا نصف شعبٍ يهمّ بالحركات

منعوهنّ أن يرين ضياءً ا فتعوّدن عيشة الظلمات

دفنوهنّ قبل موتٍ مريحٍ فى قبور سُودٍ من الحجراتِ(٢٩)

قد بين الزّهاوى فى قصيدته "ضلّوا وأضلّوا" عن بخس المجتمع لحقوق المرأة فى شتى مجالات الحياة، فيقارن بين المرأة الشرقية وبين المرأة الغربية التى تمتعت بتلك الحقوق كلها، حيث يقول:

الناس فى الشرق ضلّوا سبيلهم وأضلّوا

وبالحياة استخوا وبالحقوق أخلوا

ظنّ النساء رجال صنفا اذاه يحلُ

وانهنّ كحيوا ن ليس يهديه عقلُ

وانهنّ متاع لهم من النفس يخلو

وكل ذلك منهم اذا تأملت جهلُ

أقول والحدّ أبغى والقول جدٌّ وهزلُ

إنّ النساء من القو م للحفاوة أهلُ

وانهنّ نحوم على السلام تدل

وانهن غصون بفيئهايُستظلُّ

لولا النساء لمابا ن للحضارة شكلُ

على الشعوب بمرقى نسائهايُستدل

لهنّ فى الغرب عز جم وفى الشرق ذلُّ

لاتبخسو هن حقا فليس فى البخس عدلُ

فالمرأة اليوم للمرء فى الحقيقة مثلُ

وانها عنه فى الفهم والحجى لاتقل (٣٠)

إنّ الزّهاوى يريدأن يعطى المرأة مكانة رفيعة فى المجتمع، كماهى فى المجتمع الغربى التى تحصل فيه حقوقها كلها بسهولةٍ، ولذلك يدعو المرأة بترك الحجاب وخروج من البيت إلى الحياة الاجتماعية بجانب الرجل لكى تشارك مع الرجال فى كلّ مجالات الاجتماعية . فى الحقيقة قد تأثّر الزّهاوى من المغرب تأثّراً شديداً، ولهذا يذكر حالة المرأة فى أوربا بالأبيات التالية، فيقول فيها:

للمرأة اليوم فى مجلس القضاء محل

للمرأة اليوم فى البرمان عقدٌ وحلُ

للمرأة اليوم فى استكشاف الحقائق شُغلُ

للمرأة اليوم فى تحسين الحضارة فضلُ

وإنها من علُوٍّ على الرجال تطلُ (٣١)

فى الأبيات التالية يقارن الزّهاوى حال المرأة بما هو عليها فى المغرب حيث للمرأةاحترامها ومكانتهاوفرصها المتكافئة ، ومع ذلك تمتع المجتمعات الأوروبية بإسهام الجنسين فى العمل على الحياة الاجتماعية، حيث يقول:

فى الغرب حيث كلا الجنسين يشتغل لايفضل المرأة المقدامة الرجل

كلا القرينين معتز بصاحبه عليه إن نال منه العجز يتكل

وكل جنس له نقص بمفرده أماالحياة فبالجنسين تكتمل

أمـــا الـعـــراق فـفيـــه الأمـر مـختـلف فـقـد ألـم بـنـصف الأمة الشـلـل(٣٢)

ولـعـلّ جـمـيـل صدقى الزهاوى كان فى الطليعة من المندفعين إلى تأييد السفور، فقد نُشرت مقالته تحت عنوان"المرأة والد فاع عنها" فى جريدة "المؤيد" المصرية يدعوفيه إلى تحريرالمرأة وتأييد سفورها دون قيدٍأوشرطٍ، فـقـامـت ضـجـة عـنيفة فى بغداد عن تلك المقالة حتى أنّ والى بغداد العثمانى فصل الزهاوى بسبب مقالته تلك من وظيـفتـه فى مدرسة الحقوق . ولـعـلّ الـزهـاوى هـوأكـثـر شـعـراء جيله تأييداً للسفور حتى أنه نظم قصائد كثيرةفى الـمـوضـوع، وسـنعرض الآن نماذج مزيدة من تلك القصائد. ويـقـول فـى قـصيدته "مافى السفور معرة" ولعلّ هذه القصيدة أكثر قصائد الزهاوى فى موضوع السفور:

الـويـلُ لـلأنثـى الـضـعيفة مـن قسـوة الـذكـرالـعنيفة

إنـى لأخشـى أن يـلاقـى الـروض ف يـوم خـريـفـه

كـــل امـرئ هـــو آكـــلٌ فـى هـذه الـدنيـا رغيـفـه

مـــاأطيـــب الـرزق الـذى تـعـطية أعـمـال شـريـفـه

إنّ الـزهـور عـلـى السفور نـقـتية مـنهـا الـصـحيفة

مـــافـى الســفـور مـعـرة تـخشـى عـلـى امـرأة عفيفة

ليســت مشـايـعة الطبيعة فـى عـفـافٍ بـالـمـخيفة

إنّ الـنـظيفة فـى قـرارة نـفسهـا، تبـقـى نظيفة(٣٣)

كذلك قال الزهاوى فى قصيدة "تباشير الانقلاب":

ســـألـــت لهـــا حـــرية مـنهـم ، فـمـالـقيـت جوابـا

حتـى إذا مـــااستيـــأسـت خـرقـت بـأيـديهـا النقـابـا

فـــرأت أمـــام سـفـورهـا لـلـمـجـد أفـنية رحـابـا

إن الـحيـــاة لتبتـغـى فـى عـصـرنـا هـذا انـقـلابـا

ظهـــرت تبـــاشيـــرلـــه تبنـــى المـنـى منهـا قبـابـا

عـزّوا الـحـجـاب إلـى الكتاب فـليتهـم قـرأوالـكتـابـا

مـاكـان خـدرك غيـرسـجـنٍ مـظـلـم يـولى اكتـنـابـا(٣٤)

وفى هذه الرباعيات قديرى الزهاوى أنّ الحجاب يُذهب الشعب به إلى التخلّف والتأخّر، ويقول فيها:

ليس ترقى الأبناء فى أمة ما

لم تكن قد ترقتِ الأمهاتُ

أخّرَ المسلمين عن أمم الأرض

حجاب تشقى به المسلماتُ (٣٥)

ثم يقول فى مقام آخر بقصيدة "ثورة فى الجحيم":

قيل : هل فى السفور: نفعٌ يرجى قيل: خير من الحجاب السفورُ

إنما فى الحجاب شَلٌّ لشعبٍ

وخفاءٌ ، وفى السفور ظهورُ

كيف يسمو إلى الحضارة شعب منه نصف عن نصفه مستور

ليس يأتى شعبٌ جلائل مالم

تتقدم أناثه والذكورُ (٣٦)

وقصيدته "يا ابنة يعرب" التى يقول فيها:

الـقـوم يـا ابـنة يـعـرب مـن جهـلهـم وأدوك وأدا

حـجـبـوك عـن أبـنـاء نـو عك حـاسبيـن الـغّـى رشـدا

سـجـنـوك فـى بيـت أريـد بـضيـقـه ليـكـون لـحـدا(٣٧)

وتـحـدّث الدكتور ناصر الحانى عن هذا الموضوع وأشاد بدعوة الزّهاوى ومطالبة بتحقيق المساواة بين

الرجل والمرأة (٣٨) واستشهد بقوله:

إنمـــا الـمـرأة والـمـر ء ســـواء فـــى الـحـداره

عـلـمـوا الـمـرأة فـالـمـر أة عـنـوان الحضـاره(٣٩)

تـلك أهـم الـنـماذج من شعر جميل صدقى الزهاوى التى يدعوفيها المرأة إلى السفور وبترك الحجاب فى المجتمع. ولكن هنا أمر عجيب ونقطة مهمة بحسب الموضوع وهو ذلك التناقض الموجود فى شخصية الزهاوى، قـال الأسـتـاذ روفـائـيـل بـطـى عـنـها: "إنّ الزهاوى لم يكن يوافق بين آرائه وتصرفاته الشخصية فى كثير من المواقف وضرب لذلك مثلا دعوته الملحّة إلى السفور ولكنه فى ذلك الوقت لم يأذن لزوجته بترك الحجاب".(٤٠)

وأمـا مـضـار الـحـجـاب عـنـد الزهاوى فكتب مقالة طويلة بعنوان" المرأة والدفاع عنها" عقدفيها فصلاً بـعنوان"مضار الحجاب" وأوردفيها بعض المظالم التى تتعرض لها المرأة . وهذه مضار الحجاب تشتمل على نقاط عديدة، ومن أهمّها:

وأوّلـهـا أنّ الـمـرأة الـمـحـجوبة إذا مشت إلى محل الريبةفلا تخشى أن يعرفها أحد فى الطريق وأما المكشوفة فهى تخاف على شرفها من الدخول فى باب الرّيب لانّ الناس ينظرإليها ويعلمون أنها بنت فلان وأخت فلان . والثانى أنّ الـحـجـاب مـنـع والإنسان ولوع بالممنوع، وأمّا المكشوفة فلما كان النظرإليها عادة لم يحرص الرجل على معرفة مـاتحت الحجاب والتمتع به . والثـالـث أنّ الـحجاب يسئى ظن الغربيين بنا أنّ المسلمين لايثقون بعفةنسائهم فلما وضـعـوا عـلـيهـنّ أثـقـال الـحـجـاب وأخفوهنّ عن عيون تطمع إلى وجوههن، وهو عندهم دليل ثقة المسلمين بعفة نسائهم. (٤١)

والـرابـع أنّ الـحـجـاب سبب لـعدم الاختلاط وعدم الاختلاط سبب للجهل ، وهل يرجى النهوض لأمة نصف أهلها جاهلات ؟ والـخـامـس أن المرأة المحجوبة تفقد الثقة بالرجل فلا يكبر عليها أن تخونه. والسادس أنّ الـحـجـاب مـخـالف لـلـطبيعة وأضعاف للبصر الذى هو أهم الحواس التى يتجهزبها الإنسان لكفاح الحياة .(٤٢) والسـابـع أنّ الـحـجـاب سبب فى الأكثر لتنافر الزوجين فلايعيشان فى مقام وئام لأنهما لم يقترنا بانتخاب الواحد

للآخر. والثامن أن الحجاب سبب لاعتزال النساء وما ينجم عنه من انحرافات في الوسطين. (٤٣)

قد يتضح لنامماسبق أنّ الحجاب فرض الإسلام على كل إمرأة مسلمة، وألا تخرج من بيتها بغير حاجةٍ. وهذا القول ثابت من الآيات الكثيرة الواردةفي القرآن الكريم بوضوح، كماذكرنا ها في الصفحات السابقة. فالغرض من الحجاب في الإسلام هو حماية المرأة، بل هو دليلٌ على العفة والكرامة لحماية كلّ النّساء المسلمات، والإسلام حريصٌ جدّاً على حماية المرأة. قداتّفق العلماء على أن كل بدن المرأة ماعدا الوجه والكفين يجب ستره بالحجاب. وأمّا الوجه والكفان فقد اختلف فيهما العلماء فمنهم من جعله مندوبا ومنهم من أوجب سترهما. والله يعلم بالصواب.

وأمّا الحجاب في شعر الزّهاوى فكانت المرأة في عصره حبيسة محجوزة في بيتها، كانت تعيش حياة الذلّة، هي محرومة من أبسط حقوقها وميراثها ولا مكانة لها في المجتمع، ولايجوزلها الخروج من بيتها، ولا يحق لها أن تظهر أمام الرجال، وتشاركهم في العمل، بل حرمت من التعليم والعمل، كانت المرأة في ذلك الوقت تعيش تحت وطأة العادات البالية في المجتمع العراقي.

عندما نظر الزهاوى حالة المرأة دافع عن حقوقها وطالبها بترك الحجاب فمراده النقاب به الذى يخفى معالم الوجه. وهويدعو إلى حضور المرأة في المجتمع سافرة. إن الزهاوى يجعل عمل التربية والتعليم أعلى من الحجاب قديرى أنّ الحجاب لايحافظ عفة الفتاة بل التربية والتعليم يحمى عفتها ويقيها من الذنوب. قال الله تبارك وتعالى في كلامه المجيد "ولباس التقوى ذلك خير" وأمّا الحياء فهو جزءٌ ا من الإيمان، والحياء يكون في العينين، ولذلك يقول أن الحجاب أى النقاب كان حارسا كذابا لصون شرف المرأة وحيائها. ويريد منها كشف حجابها عن وجهها ودخولها إلى ميادين الحياة الاجتماعية الجديد ة سافرة كفتاة مهذبة مثالية التى تؤدّى دورها في الحياة الاجماعية والاقتصادية والسياسية في المجتمع الجديد.

قديرى أن الحجاب من العادات والتقاليد البالية، وإنّه ليس من المشروعات الإسلامية. ولم يكن جزء ا من الدين. ويقارن بين المرأة الشرقية والغربية التى تمتعت بتلك الحقوق كلها، ويريد الزهاوى أن يعطى المرأة

مكانة رفيعة في المجتمع، كما هي في المجتمع الغربي، لانّ حصول التسهيلات هناك بسهولة للمرأة . لعل الزهاوى يتأثّر من الثقافة الغربية تأثّراً شديداً ولذلك يدعو المرأة إلى جانب الرجل لكي تشارك مع الرجال في كل مجالات اجتماعية، قد يفهم أن الحجاب احتكاكًا وحاجزاً بين المرأة والمجتمع لأن المرأة نصف الشعب لايمكن الرقي والتقدم بغيرها ولاتشكل الثقافة الرفيعة بدونها.

الهوامش

١ـالأفريقى، محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، بيروت :دارالنشر، دارالصادر، ط١، ج١، ص٢٩٨ـوأنظر مختار الصحاح لمحمد بن أبى بكر بن عبد القادر الرازى، بيروت: دارالنشر،١٩٩٥م،ط١، ج١، ص٥٢ـ

٢ـالمناوى، محمد عبدالرؤوف، التوقيف على مهمات التعاريف، بيروت:دارالفكر المعاصر، ط١، ١٤١٠ھ، ص٢٦٨ـ

٣ـالكفوى، أبو البقاء، كتاب الكليات، بيروت: موسسة الرسالة، ١٩٩٨م، ج١، ص٢٦٨

٤ـالنووى، أبوزكريا يحى بن شرف، صحيح مسلم بشرح النووى، بيروت:دارإحياء التراث العربى، ١٣٩٢ھ، ط٢، ج٣، ص٢١٠ـ

٥ـالزبيدى، محمد مرتضى الحسينى، تاج العروس من جواهر القاموس، دارالهداية، تحقيق مجموعة من المحققين، ج٤، ص٢٩٦ـ

٦ـالمصدر السابق نفسه، ج٢، ص١٧٥، وأنظر لسان العرب، ج١، ص٢٧٣ـ

٧ـالقرطبى، أبوعبد الله محمد بن أحمد الأنصارى، الجامع لأحكام القرآن، القاهرة: دارالشعب، ج١٤، ص٢٤٣

٨ـالإسراء، الآية ٤٥

٩ـالشورى، الآية ٥١

١٠ـالأعراف، الآية ٤٦

١١ـالنور، الآية ٣١

١٢ـالأحزاب، الآية ٣٣

١٣ـالسيوطى،جلال الدين، الدرالمنثور فى التفسير بالمأثور، بيروت:دارالكتب العربى، ج٥، ص٤٢

١٤ـشحرور، الدكتور محمد، الكتاب والقرآن، قراءة معاصرة، دمشق: الأهالى للطبع والنشر والتوزيع، ط٧، ١٩٩٤م، ص ٦.٦-٦.٧

١٥ـهو الشيخ الدكتور صالح بن فوزان ولد عام ١٣٥٤ھ وهومن أهل الشمالية بالقصيم بالقرب من مدينة، عضو فى هئية كبارالعلماء، وعضو فى المجتمع الفقهى بمكة المكرمة.

١٦ـالفوزان، مفتى صالح بن فوزان، ماحكم الحجاب فى الإسلام، Ejabat.google.com

١٧ـالأحزاب، الآية ٥٩

١٨ـالنفراوى، أحمد بن غنيم بن سالم المالكى، الفواكة الدوانى على رسالة ابن أبى زيد القيروانى، بيروت: دارالفكر، ١٤١٥، ج٢، ص٢١٤

١٩ـابن العربى، أبوبكر محمد بن عبد الله، أحكام القرآن،لبنان: دارالفكر للطباعة والنشر، تحقيق، محمد عبد القادر، ج٣، ص ٦١٦

٢٠ـالدر المنثور فى التفسير بالمأثور للسيوطى، ج٥، ص٤٢

٢١ـالزهاوى، جميل صدقى، اللباب، بغداد: مطبعة الفرات، ١٩٢٨م، ص٢٣٥ـ٢٣٦

٢٢ـالأعراف، الآية: ٢٦

٢٣ـديوان اللباب، ص٢٣٦

٢٤ـالمصدر السابق نفسه، ص ٣٣١ـ٣٣٢

٢٥ـالزهاوى، جميل صدقى، الأوشال، بيروت: دارالعودة، ١٩٧٢م، ص٦٠١

٢٦ـالعبيدى، مهدى عباس، حقيقة الزّهاوى، بغداد: مطبعة الرشيد، ١٩٤٧م، ص٥٣

٢٧ـالزهاوى، جميل صدقى،ديوان الزّهاوى، مصر: المطبعة العربية، ١٩٢٤م، ص٣٠٩

٢٨ـديوان اللباب، ص٣٣٧

٢٩ـديوان الزهاوى، ص ٣٠٩

٣٠ـديوان الزهاوى، ص٣١١ـ٣١٢

٣١ـالمصدر السابق نفسه، ص٣١٣

٣٢ـماوجدتُ هذه الأبيات فى ديوان الزهاوى، ولكن قد ذكرها الدكتور مفيد مسوح فى مقاله"الشاعر والفيلسوف الزهاوى نصير المرأة" Massouh@emirates.net،ص٣

٣٣ـلاتوجدهذه الأبيات فى ديوان الزهاوى وقد ذكرها محمد جواد الغبّان فى مقاله "تحرير المرأة فى الشعر العراقى المعاصر" وهو كاتب من العراق. www.aliraqi.org

٣٤ـالأوشال، ص٦٠١

٣٥ـمقالة تحرير المرأة فى الشعر العراقى المعاصر ، لمحمد جواد الغبان. أنظر ديوان الزهاى، ص٤٠٧

٣٦ـالمصدر السابق نفسه

٣٧ـديوان الزّهاوى، ص ٣١٦

٣٨ـالحانى، د ـناصر، دراسات فى الشعر والنقد، لبنان: صيدا، ص ٥١

٣٩ـديوان الزّهاوى، ص ٣٩٧

٤٠ـناجى، هلال، الزهاوى وديوانه المفقود، القاهرة: دارالعرب البستانى، ص ٣٠٣

٤١ـالرشودى، عبد الحميد، الزّهاوى دراسات ونصوص، قدّم له دـ يوسف عزّ الدن، بيروت: مكتبة الحياة، ١٩٦٦م، ص ١١٥ـ١١٦

٤٢ـالمصدر السابق نفسه، ص ١١٦ـ١١٧

٤٣ـالمصدر السابق نفسه، ص١١٥ـ١١٦